مفهوم الزراعة في القرآن الكريم

الجزء الأول

الدكتور فاضل حسن شريف
sharif.fadhil@gmail.com

الله تعالى هو الزارع «أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» (الواقعة 64). قوله تعالى «ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ» ﴿يوسف 49﴾ يغاث الناس اي ينزل المطر فينبت الزرع وتسقى المواشي، وبتعبير اخر يقدم العون للناس، ومنها تأتي الاستغاثة أي طلب العون. ومن أمثلة التطوع في أعمال البر غرس الأشجار وجعل الأرض خضراء كما جاء في الحديث الشريف (ما من مُسلم يَغْرِسُ غَرْسًا، أو يَزْرَعُ زَرْعًا، فيأكلَ منه طَير، أو إنسان، أو بَهيمة، إلا كان له به صدقة).

جاء في المعاني الجامع: آتت: أثمر واستوى: آتت المزرعةُ أكلَها في آخر الموسم محصولاً وفيرًا كما قال الله سبحانه «فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ» (البقرة 265). ان الظواهر الطبيعية في الكون لها وسائل لحصولها فالرياح وسيلة لسقوط الأمطار، والأمطار وسيلة لنبات الزرع، والزرع وسيلة لعيش الدواب. ودعا إبراهيم عليه السلام عند مغادرته مكة «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» (إبراهيم 37) وهذه آية أن جعل هاجر تمثل المرأة القادرة على التحمل عكس ما يتصوره البعض ان المرأة خلقت ضعيفة والرجل خلق قويا ولم يعلموا ان كليهما خلقا ضعيفين «وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا» (النساء 28).. من التفاسير ان النخيل والرطب كان طبيعيا وليس في بيت لحم حيث لا نخيل وقيل إن هاشم جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يجد نخيل في فلسطين فزرع نخلة في غزة.

جاء في تفسير الميسر: قال الله تعالى عن الزراعة «وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا» ﴿الكهف 32﴾ زرعا اسم، واضرب أيها الرسول لكفار قومك مثلا رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب، وأحطناهما بنخل كثير، وأنبتنا وسطهما زروعًا مختلفة نافعة. قوله سبحانه «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ» ﴿السجدة 27﴾ نسوق اي نأمر بفعل شئ، نسوق الماء بأمرنا نزل الماء والمقصود بأمر الله تعالى، الجرز: الأرض الميتة اليابسة لا نبات فيها، الأرض الجرداء اليابسة التي لا تُمطر إلا مطراً لا يُغني عنها شيئاً، والتي تحرق ما فيها من النبات و تُبطله. قوله جل جلاله «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ» ﴿الزمر 21﴾ ألم تر أيها الرسول أن الله أنزل من السحاب مطرًا فأدخله في الأرض، وجعله عيونًا نابعة ومياهًا جارية، ثم يُخرج بهذا الماء زرعًا مختلفًا ألوانه وأنواعه، ثم ييبس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفرًا لونه، ثم يجعله حطامًا متكسِّرًا متفتتًا؟ إن في فِعْل الله ذلك لَذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة. قوله عز من قائل «وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» ﴿الأنعام 141﴾ وَالزَّرْعَ: وَ حرف عطف، ال اداة تعريف، زَّرْعَ اسم، وَالنَّخْلَ: وَ حرف عطف، ال اداة تعريف، نَّخْلَ اسم، والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها ما هو مرفوع عن الأرض كالأعناب، ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائم على سوقه كالنخل والزرع، متنوعًا طعمه، والزيتون والرمان متشابهًا منظره، ومختلفًا ثمره وطعمه. كلوا أيها الناس مِن ثمره إذا أثمر، وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم حصاده وقطافه، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك.. و «قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ» ﴿يوسف 47﴾ تَزْرَعُونَ: تَزْرَعُ فعل، ونَ ضمير، قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جادِّين ليَكْثُر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فادَّخِروه، واتركوه في سنبله؛ ليتمَّ حفظه من التسوُّس، وليكون أبقى، إلا قليلا مما تأكلونه من الحبوب.

عن تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي: قوله تعالى «وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ﴿الرعد 4﴾ «وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ» أي: أبعاض متقاربات مختلفات في التفاضل منها جبل صلب ولا ينبت شيئا ومنها سهل حر ينبته ومنها سبخة لا تنبت عن ابن عباس ومجاهد والضحاك بين الله سبحانه باختلاف هذه الأرضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيأة والمنظر أنه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والمؤتلفة وقيل: إنها متجاورات بعضها عامر وبعضها غير عامر عن الزجاج «وجنات» أي: بساتين «أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ» (الرعد 4) أي: نخلات من أصل واحد.

«وغير صنوان» أي: نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والصنو الأصل يقال: هذا صنوه أي: أصله عن ابن الأنباري وقيل: إن الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بن جبير وقيل: الصنو المثل والصنوان الأمثال ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلّم عم الرجل صنوأبيه عن الجبائي «يسقي بماء واحد» أي: يسقي ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء الأنهار أوبماء السماء «وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ» أي: ويفضل الله ومن قرأ بالنون فالمعنى نفضل نحن بعضها على بعض في الطعم واللون والطبع مع أن البئر واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضا وبعضها حلوا وبعضها مرا فلوكانت بالطبع لما اختلف ألوانها وطعومها مع كون الأرض والماء والهواء واحدا وفي هذا أوضح دلالة على أن لهذه الأشياء صانعا قادرا أحدثها وأبدعها ودبرها على ما تقتضيه حكمته والأكل الثمر الذي يؤكل «إن في ذلك» أي: في اختلاف ألوانها وطعومها عن ابن عباس.

وقيل: إن فيما تقدم ذكره «لآيات» أي: حججا ودلالات «لقوم يعقلون» دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويستدلون بها. قوله سبحانه «رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» ﴿إبراهيم 37﴾ حكى سبحانه تمام دعاء إبراهيم عليه السلام وأنه قال «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي» أي أسكنت بعض أولادي ولا خلاف أنه يريد إسماعيل عليه السلام) مع أمه هاجر وهو أكبر ولده «بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ» (إبراهيم 37) يريد وادي مكة وهو الأبطح وإنما قال غير ذي زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذكر مفعول أسكنت لأن من يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بني فلان وأكلنا من الطعام وكما قال سبحانه أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله وتقديره أسكنت من ذريتي أناسا أوولدا عن البلخي. «عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» إنما

أضاف البيت إليه سبحانه لأنه مالكه لا يملكه أحد سواه وما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف سماه بيتا ولم يبنه إبراهيم عليه السلام بعد والجواب من وجهين (أحدهما) أنه لما كان من المعلوم أنه يبنيه سماه بيتا والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه (والثاني) أن البيت قد كان قبل ذلك وإنما خربه طسم وجديس وقيل إنه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان وإنما سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا بالإحرام وقيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملابسة بشيء من الأقذار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمة «رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» أي أسكنتهم هذا الوادي ليداوموا على الصلاة ويقيموا بشرائطها.

جاء في تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي: قال الله تعالى عن الزراعة قوله سبحانه «وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ﴿الرعد 4﴾ «وفي الأرض قطع» بقاع مختلفة «متجاورات» متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيرهُ وهو من دلائل قدرته تعالى، «وجنات» بساتين «من أعناب وزرع» بالرفع عطفا على جنات، والجر على أعناب وكذا قوله «ونخيل صنوان» جمع صنو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتشعب فروعها، «وغير صنوان» منفردة «تسقى» بالتاء، أي الجنات وما فيها والياء، أي المذكور «بماء واحد ونفضّل» بالنون والياء «بعضها على بعض في الأكُل» بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى «إن في ذلك» المذكور «لآيات لقوم يعقلون» يتدبرون. قوله جل جلاله «رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» ﴿إبراهيم 37﴾ «ربنا إني أسكنت من ذريتي» أي بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر «بواد غير ذي زرع» هو مكة «عند بيتك المحرم» الذي كان قبل الطوفان، «ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة» قلوبا «من الناس تهوي» تميل وتحنُّ «إليهم» قال ابن عباس لو قال أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم، «وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» وقد فعل بنقل الطائف إليه. قوله تبارك وتعالى «يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» ﴿النحل 11﴾ «ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك» المذكور «لآية» دالة على وحدانيته تعالى «لقوم يتفكرون» في صنعه فيؤمنون. قوله عز من قائل «وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ» ﴿الشعراء 148﴾ «وزروع ونخل طلعها هضيم» لطيف لين.

قوله عز وعلا «وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ» ﴿الدخان 26﴾ كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم وإغراق الله إياهم من بساتين وجنات ناضرة، وعيون من الماء جارية، وزروع ومنازل جميلة، وعيشة كانوا فيها متنعمين مترفين. قوله سبحانه وتعالى «وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ» ﴿الفتح 29﴾ «محمد» مبتدأ «رسول الله» خبره والذين معه} أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره «أشداء» غلاظ «على الكفار» لا يرحمونهم، «رحماء بينهم» خبر ثان، أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد، «تراهم» تبصرهم «ركعا سجدا» حالان «يبتغون» مستأنف يطلبون «فضلا من الله ورضوانا سيماهم» علامتهم مبتدأ «في وجوههم» خبره وهو نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا «من أثر السجود» متعلق بما تعلق به الخبر، أي كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر، «ذلك» الوصف المذكور «مثلهم» صفتهم مبتدأ «في التوراة» خبره «ومثلهم في الإنجيل» مبتدأ خبره «كزرع أخرج شطأه» بسكون الطاء وفتحها: فراخه، «فآزره» بالمد والقصر قواه وأعانه، «فاستغلظ» غلظ، «فاستوى» قوي واستقام «على سوقه» أصوله جمع

ساق، «يعجب الزراع» أي زرّاعه لحسنه، مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لأنهم بدأوا في قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه، «ليغيظ بهم الكفار» متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي شبهوا بذلك، «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم» الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة «مغفرة وأجرا عظيما» الجنة وهما لمن بعدهم أيضا في آيات. قوله جلت قدرته «أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» ﴿الواقعة 64﴾ «أأنتم تزرعونه» تنبتونه «أم نحن الزارعون».

وقد أمرتنا السنة الشريفة بزراعة الأشجار ومنها شجرة الزيتون حيث جاء في الحديث الشريف (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)، و (إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ)، و (مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ فِي خِلَافَتِهِ). قوله تعالى «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الانعام 141) جاء في موقع موضوع عن كيف نحافظ على الأشجار للكاتبة ايمان الحياري: أهمية الأشجار تحمي الأشجار البيئة من التلوث. تساعد الأشجار على خفض درجات الحرارة في فصل الصيف، ما يؤدي إلى تلطيف الجو. التخفيف من حدة الضوضاء.

منع انجراف التربة. الحد من ظاهرة التصحر. تعتبر الأشجار كمصّد للرياح الشديدة وتخفف من حدّتها. مصدر غذائي أول للكائنات الحية. مصدر رزق للإنسان حيث يمكن أن يمتهنها ويتاجر بها. التشجيع على الاقتصاد المحلي وزيادة الدخل القومي. تعتبر زينة طبيعية للمنطقة. تحسين المناخ الجوي للمنطقة. ملجأ للطيور، مقراً لبناء أعشاش الطيور. حماية الأراضي من الجفاف والتصحر. الحفاظ على المياه الجوفية في باطن الأرض من التسرب. ممارسات خاطئة بحق الأشجار الرعي الجائر. الضرب بالعصي، عند جني الثمار. قطع الأشجار، لاستخدامها كنوع من الحطب للمدافئ في الشتاء. الصيد الجائر، حيث يؤثر قتل الطيور على عملية التوازن البيئي ما بين الطيور والأشجار. الزحف العمراني على الأراضي الزراعية. إهمال الأشجار. كيفية الحفاظ على الأشجار الحرص على عدم السماح للعمران بالزحف على حساب الأراضي الزراعية. إطلاق حملات توعية وإرشادية للحفاظ على الأشجار. اتخاذ وسائل تدفئة أخرى غير الحطب. الاهتمام بالتربة الزراعية. تسميد الأشجار وحمايتها من الآفات التي تفتك بها.